



طلاب من بلدان مختلفة يحضرون
فصلا للغة الألمانية للأطفال
المهاجرين في برلين، ألمانيا

المد اللغوي

باري شيزويك

استقبلت

البلدان الأوروبية
في عام ٢٠١٥
ما يزيد على

مليون مهاجر من شمال إفريقيا والشرق الأوسط، أساسا من الصراعات في سوريا والعراق. وبعضهم من اللاجئين الذين هربوا من الحرب الأهلية والتمييز والأوضاع الفوضوية. والبعض الآخر من المهاجرين لأسباب اقتصادية بحثا عن فرص أفضل. وتحدث الغالبية العظمى من المجموعتين اللغة العربية أساسا وسيستقرون بشكل دائم في أوروبا، حيث لا تنتشر اللغة العربية ولكن تعيش فيها مجموعات كبيرة من الناطقين بها. وعلى الرغم من أن بعضا من هؤلاء المهاجرين سيجدون لغة البلد المضيف لهم، فإن الحال ليس كذلك بالنسبة لمعظمهم.

وركزت الطفرة الأخيرة للهجرة الدولية على الاهتمام باقتصادات اللغة - المحددات والنتائج - بما في ذلك آفاق العمل وإمكانات الكسب - المتعلقة بإجادة المهاجرين للغة البلد المضيف لهم. ويعتمد النجاح الاقتصادي للمهاجرين بشكل

كبير على مدى إجابة وسرعة تعلمهم للغة بلدهم الجديد.

وقد استفادت البحوث النظرية والتجريبية، التي قمت بها بنفسي أو التي أجراها زملائي في نفس المجال، من الزيادة الحديثة نسبيا في البيانات الجزئية الكبيرة الموجودة في البلدان الرئيسية المستقبلية للمهاجرين، والتي تحدد المهاجرين ولغتهم الأصلية ومدى إجادتهم للغة الرئيسية للبلد المضيف، إلى جانب الخصائص الاجتماعية والديمقراطية والاقتصادية ذات الصلة.

تعلم اللغة

إن إجابة اللغة هي نوع من أنواع رأس المال البشري، شأنها شأن المهارات الأخرى المكتسبة في المدرسة أو في العمل. وهي سلعة اقتصادية مفيدة مهنيا وشخصيا واجتماعيا ويمكن اكتسابها مقابل تكلفة من حيث الوقت والمال يتحملها الأفراد، وفي حالة الأطفال، الآباء أو مقدمو الرعاية. وعلى الرغم من اختلاف التأثيرات إلى حد ما عبر البلدان، فإن المهاجرين الأكثر إجابة للغة البلد المضيف

اقتصادات اللغة
تعطي دروسا مهمة
بشأن أفضل طريقة
يمكن أن تدمج بها
أوروبا المهاجرين

المثال، فالمهاجر الوافد حديثا ويتحدث اللغة الباسكية في ألمانيا سيجد عددا قليلا من الأشخاص للتواصل معهم بهذه اللغة، ولكن المهاجر الوافد حديثا ويتحدث اللغة التركية سيجد مجتمعا كبيرا راسخا من متحدثي اللغة التركية.

الكفاءة هي القدرة على تحويل التعرض للغة جديدة إلى إتقان أكبر لها. والسن محدد أساسي للكفاءة. فيمكن للمهاجرين الشباب أن يكتسبوا المهارات اللغوية للبلد المضيف بشكل أسرع وبدقة أكبر من المهاجرين الأكبر سنا. فالتعليم يزيد من الكفاءة في اكتساب لغات جديدة، كما يفعل في حالة المهارات الأخرى. وهناك عامل آخر للكفاءة وهو درجة التقارب اللغوي — مدى تقارب لغة الشخص الأصلية أو اللغة الأم مع لغة بلد المقصد. وعلى سبيل المثال، فاللغة الإيطالية أقرب لغويا إلى اللغة الفرنسية من اللغة الصينية، وبالتالي

تزداد احتمالات التوظيف مع زيادة إجادة المهاجرين للغة البلد المضيف.

فإن المهاجرين الإيطاليين يتعلمون اللغة الفرنسية بسهولة أكبر من الصينيين.

الحوافز الاقتصادية هي العامل المهم الأخير الذي يؤثر على ما إذا كان المهاجر سيجد لغة البلد المضيف وسرعة إجادته لها. وتكون الحوافز الاقتصادية لتعلم اللغة أقوى إذا كان الشخص يتوقع إقامة طويلة وغير متقطعة. ويكون السائحون والزوار المؤقتون أقل حماسا من المهاجرين الدائمين في تعلم لغة بلد المقصد. وتختلف فوائد تعلم لغة بلد المقصد باختلاف المهارة أو المستوى التعليمي. فالأشخاص الأعلى مهارة يميلون إلى العمل في وظائف تتطلب إجادة لغة بلد المقصد، ولكن يكون ذلك أقل أهمية بالنسبة للأشخاص الذين يعملون في وظائف عديدة تتطلب مهارات أقل. ويحتاج المهندسون والتقنيون المهاجرون عموما إلى درجة من الكفاءة في إجادة لغة بلد المقصد لتكون مهاراتهم منتجة، بينما قد لا يحتاج عمال النظافة والعمالون إلى ذلك.

مشكلة الجيل الأول

لحسن الحظ، تكون الإجادة المحدودة للغة البلد المضيف هي أساسا مشكلة الجيل الأول من المهاجرين. ويميل استخدام اللغة الموروثة عن الآباء إلى الزوال بين الأجيال المتتالية، سواء كان ذلك للأفضل أو للأسوأ. فالذهاب للمدرسة والتعرض لوسائط الإعلام الناطقة بلغة البلد المضيف واللعب مع الأطفال الآخرين الذين لا يتحدثون لغة الآباء تعجل باكتساب اللغة الجديدة وفقدان الجيل الثاني أو الثالث للغة الآباء. والعيب في ذلك هو تقليل روابط الشخص بترائه وأقاربه الذين لم يهاجروا.

ويمكن أن يجيد أبناء المهاجرين أو أحفادهم لغة البلد المضيف تماما وأن يحافظوا على اللغة الموروثة عن الآباء. ومن المرجح أن يتحدث الأطفال والأحفاد لغة الآباء إذا نشأوا بين أفراد الأسرة والجيران، وإذا كانت وسائط الإعلام المطبوعة والإلكترونية متاحة بهذه اللغة، وإذا ظلوا على اتصال بأقاربهم الذين يبقون في البلد الأصلي. وعندما يعيش الأطفال الذين يولدون في البلد الجديد في جيوب محددة جغرافيا أو لغويا، تميل اللغات الموروثة إلى البقاء لمدة أطول.

هم الأوفر حظا في الحصول على وظيفة، ويحققون دخلا أكبر عند التوظيف، وهم الأوفر حظا في أن يصبحوا مواطنين، وتزيد احتمالات زواجهم من أشخاص من خارج بلدهم الأصلي أو مجموعتهم الإثنية. وركزت البحوث المتعلقة بمحددات إجادة المهاجرين للغة البلد المضيف — التي أجريت في العديد من البلدان المستقبلية للمهاجرين، بما في ذلك أستراليا وكندا وألمانيا وإسرائيل والمملكة المتحدة والولايات المتحدة — على أربع مسائل: التعرض للغة والجيوب السكنية والكفاءة والحوافز الاقتصادية.

التعرض للغة البلد المضيف يمكن أن يحدث قبل الهجرة أو بعدها. فيمكن أن يتعلم الناس اللغة قبل الهجرة من خلال برامج رسمية أو غير رسمية للتدريب اللغوي أو عن طريق التعرض لوسائط الإعلام وعبر الإنترنت. كذلك يمكن أن يتضمن التعرض للغة بعد الهجرة برامج رسمية أو غير رسمية للتدريب اللغوي، ولكن التعلم من خلال المعيشة، الذي عادة ما يقاس بطول مدة إقامة الشخص في البلد الجديد، هو أكثر الطرق فعالية لاكتساب اللغة. والإقامة المتقطعة، التي ربما تنشأ من الهجرة نهابا وإيابا (التي يقوم بها الزوار المؤقتون أو ما يطلق عليهم الطيور العابرة، الذين يعودون إلى أوطانهم حاملين مدخراتهم كل عام أو ما شابه ذلك)، أو التطلع إلى هجرة مؤقتة فحسب يقللان الحافز على إجادة اللغة. ويميل المهاجرون المكسيكيون في الولايات المتحدة، على سبيل المثال، إلى أن يكونوا أقل إجادة للغة الإنكليزية من المهاجرين المماتلين، ويرجع ذلك نوعا ما إلى أنهم أكثر عرضة للهجرة نهابا وإيابا.

الجيوب السكنية: إن العيش والعمل في مجتمع إثني والاقتران بأشخاص يتحدثون نفس اللغة ييسر انتقال المهاجرين الوافدين حديثا، ولكنه يكون بثمن. فتستغرق عمليات ضبط الأوضاع ذات الصلة باللغة وإقامة شبكات وغيرها وقتا أطول. وبالتالي ما يمكن أن يكون مفيدا على المدى القصير قد يصبح ضررا بمرور الوقت. وكثيرا ما ترتبط اللغة ارتباطا وثيقا بالتفضيلات الثقافية أو السلع الإثنية التي يستهلكها أساسا أفراد مجتمع إثني ونادرا ما يستهلكها الآخرون. ويتضمن ذلك الأغذية الإثنية (اللحوم الحلال على سبيل المثال) والملابس الإثنية (الساري). وترتبط اللغة الأشخاص الذين ينتمون إلى دور عبادة إثنية، وأندية اجتماعية، وشبكات الصداقات وأسواق الزواج. فالعيش بين آخرين لديهم خلفية لغوية مماثلة والطلب على نفس الأغذية الإثنية يخفض تكلفة المعيشة ويشجع ظهور مجتمعات أو جيوب إثنية. وعلى سبيل المثال، فإن تكلفة شراء زي الساري بالنسبة للمهاجرين من الهند أو الذهاب إلى معبد هندوسي من حيث المال والوقت تكون أقل كلما زادت المنافسة بين مقدمي الخدمات وكلما زاد عدد وتنوع الاختيارات. ولكن الجيوب الإثنية تعاني في كثير من الأحيان من الحرمان فيما يتعلق بالسكن والصرف الصحي والأمن نظرا للإنفاق المحدود من جانب حكومة البلد المضيف.

ولا يعتمد ظهور مثل هذه الجيوب بين المهاجرين على عدد المهاجرين مقابل السكان الأصليين وتركزهم الجغرافي فقط، ولكنه يعتمد أيضا على مدى تنوع لغاتهم. ومن الأرجح أن ينشئ تدفق المهاجرين المتجانسين لغويا جيوبا لغويا مقارنة بالتدفق المماثل في الحجم لمهاجرين ناطقين بلغات مختلفة. كما أن العيش والعمل في جيب لغوي أسهل إذا كان عدد كبير من الناس في بلد المقصد يتحدثون لغة المهاجر. ومن الأسهل بكثير تجنب التواصل بلغة بلد المقصد أو التقليل منه إلى أدنى حد إذا كان الجيران والزملاء يتحدثون لغة المهاجر الجديدة، وإذا كانت الوسائط وجهات التواصل الاجتماعي وشبكات العمل متاحة بهذه اللغة أيضا. وعلى سبيل

فالتدريب المدعوم في فترة ما بعد الهجرة بلغة بلد المقصد، والذي يركز على كل من التحدث والتثقف، يؤدي بطبيعة الحال إلى تعزيز مهارات الوافدين الجدد. وحقق نظام أولبان الإسرائيلي للتدريب اللغوي المدعوم بشأن الدراسة المكثفة للغة العبرية نجاحا كبيرا. وهذا التدريب اللغوي طوعي، ومجاني، ومصحوبا بروتاب لدعم الملتحقين به وأسرهم. وهو يركز على مهارات التحدث والتثقف اللازمة للحياة اليومية ولا سيما المهارات المتعلقة بالعمل والتكيف الثقافي. وبرنامج أولبان مكلف نسبيا، غير أن العائد كبير بالنسبة للمشاركين والمجتمع ككل.

دروس لأوروبا

تحظى توصيات السياسات هذه بدعم من العديد من الدراسات التجريبية في مجموعة من الاقتصادات المتقدمة المستقبلية للمهاجرين ولها انعكاسات كبيرة بالنسبة للبلدان الأوروبية التي تقبل مهاجرين الآن. ويتفاقم التحدي بالنسبة لأوروبا نتيجة معدلات البطالة العالية وقيود سوق العمل.

ومقارنة بأمريكا الشمالية وأستراليا، فإن سجل أوروبا ليس جيدا فيما يتعلق بإدماج المهاجرين في حياتها اللغوية والاجتماعية والاقتصادية. فإذا استقرت الموجة الحديثة من الوافدين الجدد من شمال إفريقيا والشرق الأوسط بالجيوب المتجانسة لغويا، سواء باختيارهم أو وفقا لسياسة التوطين الحكومية، فسوف تستمر عزلتهم اللغوية. ويؤثر ذلك سلبا على الأفاق الاقتصادية للناس ويزيد من خطر النشاط الإجرامي والتطرف.

وبالتالي، هناك حاجة إلى نوعين من أنواع برامج التدريب: تدريب عام بلغة وثقافة البلد المضيف، وتدريب على العمل لإعطاء المهاجرين المهارات اللغوية والشهادات التي يحتاجون إليها من أجل استخدام المهارات المكتسبة مسبقا. وتحتاج البلدان المضيضة إلى سياسات للتحقق من الشهادات المتعلقة بالعمل التي تم الحصول عليها في الماضي وتخطي الحواجز الأخرى التي تعترض العمل بدون إضعاف معايير الصحة والسلامة المحلية.

وسيظل العديد من المهاجرين يفتقرون إلى المهارات ذات الصلة باقتصادات أوروبا المتقدمة تكنولوجيا وسيكافح الكثير لاكتساب لغة البلد المضيف. وتزداد هذه الصعوبات كلما زاد سن المهاجرين عند وصولهم إلى مقصدهم الأخير وكلما زادت عزلتهم الجغرافية والاجتماعية عن سوق العمل — وهي اعتبارات مهمة لصناع السياسات.

والاستيعاب اللغوي، أي إجادة لغة بلد المقصد دون التخلي بالضرورة عن اللغة والثقافة التراثية للفرد، أمر في غاية الأهمية للانخراط الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي للمهاجرين، بمن فيهم اللاجئين. ويمكن أن تكون أوروبا أكثر نجاحا مما كانت في تعزيز الاستيعاب اللغوي — إذا تبنت الإرادة اللازمة للقيام بذلك. ■

باري تشيزويك هو أستاذ في كلية الاقتصاد وكلية البيوت للشؤون الدولية بجامعة جورج واشنطن وزميل بحوث في معهد دراسات سوق العمل (IZA)، بون.

يستند هذا المقال إلى كتاب المؤلف الصادر في عام ٢٠٠٧، بالمشاركة مع بول ميلر، بعنوان «اقتصادات اللغة: تحليلات دولية» (*The Economics of Language: International Analyses*)، والفصل الذي حرره المؤلفان أيضا والمعنون «الهجرة الدولية واقتصادات اللغة» (*International Migration and the Economics of Language*) في الكتاب الصادر في عام ٢٠١٥، ودليل اقتصادات الهجرة الدولية، المجلد الأول ألف: المهاجرون.

والجانب السلبي هو أن هؤلاء المتحدثين بلغات أخرى يكون دخلهم في كثير من الأحيان أقل من دخل المتحدثين باللغة الإنكليزية فقط. وينطبق ذلك، على سبيل المثال، بين الرجال الذين ولدوا في الولايات المتحدة ويتحدثون الإسبانية أو اليديشية أو الهولندية البنسلفانية أو اللغات الأمريكية الأصلية في المنزل كلغتهم الثانية إلى جانب الإنكليزية. ويحقق الأشخاص الذين يتحدثون الإسبانية دخلا إجماليا أقل بنسبة ٢٠٪، وفي حالة تساوي محددات الدخل الأخرى، مثل التعليم، والسن وعدد أسابيع العمل، فإنهم لا يزالون يحققون ٧٪ أقل.

وتميل اللغة المرتبطة ارتباطا وثيقا بممارسة أقلية دينية لشعائرها إلى البقاء لفترة أطول في بلد المقصد، حتى بين الجيل الثاني وأبناء الأجيال اللاحقة الذين تكون لغتهم الأم هي لغة البلد المضيف.

قيمة اللغة

ما أهمية تعلم لغة البلد المضيف للنجاح في سوق العمل؟ والجواب القصير هو أنه مهم جدا. فتزداد احتمالات عمل المهاجرين — ودخولهم في حالة العمل — مع زيادة إجادتهم للغة البلد المضيف، إلى جانب طول فترة إقامتهم في البلد ومستوى تعليمهم، ضمن غيرها من الأمور. وتشير التقديرات إلى أن تأثير إجادة اللغة على الدخل يعادل حوالي ثلاث سنوات من التعليم الإضافي.

وكلما توافقت المهارات — المكتسبة في بلد المنشأ — التي يجلبها المهاجرون معهم مع المهارات المطلوبة للوظائف في بلدهم الجديد، كلما زادت دخولهم. وتزيد الدخل مع طول مدة التواجد في البلد، بسرعة في البداية ثم ببطء بعد ذلك. ويحدث ذلك جزئيا لأن المهاجرين يحصلون على شهادات، ويقومون شبكات، ويكتسبون خبرات ذات صلة بسوق عملهم الجديد، وأيضا نتيجة تحسن مهاراتهم اللغوية. وقد يجد المهاجرون عملا في جيب لغوي، ولكن نظرا لقلّة فرص العمل المتاحة فيه، تميل دخولهم إلى أن تكون أقل بكثير من الدخل في سوق العمل العامة.

أدوات للتغيير

يمكن أن تؤثر السياسة العامة على إجادة المهاجرين للغة. ويمكن أن تقوم بذلك عن طريق تفضيل طلبات المهاجرين الذين أتقنوا بالفعل لغة البلد المضيف، كما هو الحال بالنسبة للغتين الإنكليزية والفرنسية في كندا.

وتسفر السياسات التي تؤيد المهاجرين من الشباب الحاصلين على مستويات تعليم عالية، وغير المنعزلين جغرافيا في جيوب المهاجرين ولكن يعيشون وسط عامة السكان، عن مهاجرين أكثر إجادة للغة وأعلى دخلا. وقد نجحت مثل هذه السياسات في أستراليا ونيوزيلندا. كذلك فإن السياسات التي تشجع الهجرة الدائمة بدلا من الذهاب والإياب — ربما عن طريق تشجيع هجرة الأسرة بأكملها، أو تعزيز المواطنة، أو تيسير عمل زوج أو زوجة المهاجر الأساسي — يمكن أن تحسن دخل الأسرة وتمنع الهجرة مرة أخرى إلى الوطن الأصلي.

كذلك فإن تشجيع تدفقات الهجرة بين المهاجرين الذين تعرضوا لثقافة ولغة بلد المقصد، مثل سكان المستعمرات السابقة (كما فعلت المملكة المتحدة)، واللغات القريبة لغويا للغة بلد المقصد يعزز أيضا من اتقان اللغة.

وفي حالة تدفقات المهاجرين من اللاجئين، قد لا يكون لبلد المقصد درجة كبيرة من السيطرة على اختيار المهاجرين، ولكن لا يزال من الممكن أن تؤثر السياسة العامة على مهارتهم اللغوية.